Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طيب وطيب وهو عنصر تلقائي في ذهن الشاعر ، وليس صحيحاً ان أية زنجية منتنة تبتخر بالمندل ، لا بد أن تطيب ريحها ، وقد يكون صحيحاً أن أية زنجية تبتخر قد تطيب ريحها شريطة ألا تكون منتنة ، فالزنجية في هذه الحالة شأنها شأن غيرها ، والنتن يسيء الى الطيب ، سواء أكانت صاحبته زنجية أم غير زنجية ، وأيضاً فإن أبيات كثيرٌ إنما تستمد جمالها من صيغة المقارنة بين طيب الثرى المندى بالعرار ، والأردان المعطرة بالمندل ، أما بيت امرىء القيس الذي كان يراود ذهن سكينة مثلاً للفن ، فإن الطيب فيه غير الطيب في بيت كثير ، إذ ليس ثمة حالة واحدة نلزم الشاعر بالصدور عنها ، ولا بد أن نلاحظ هنا كلمة « سيدك امرؤ القيس » لأنها تظهر بجلاء الإجلال الذي كان يكنه الناس للفن الجاهلي ، والذي كانوا يصدرون عنه في ملاحظاتهم النقدية ، ولولا أن سكينة كانت تعتبر بيت امرىء القيس أنموذجاً أعلى لما انتقدت بيتي كثير على هذا النحو من الازدراء ، وكأن الشعراء المحدثين ينبغي أن يكونوا دائماً « عبيداً » للقدماء .

الذوق ، إذن ، هو المعيار ، أما التعليل فلا أثر له ، وكيف « يعلل » من يصدر عن محض البديهة ؟ أو من يقرض الشعر الغنائي ؟ إن ذا الرمة مثلاً ـ كما مرّ بنا ، وقد اشتهر بوصف المطر ـ حين سئل عن وصف بعض الشعراء للمطر ، أعرض عن الثناء عليهم ، واختار قول امرىء القيس :

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر

ولسنا ندري لم اختار ذو الرمة امرأ القيس ، وأي أمر أعجبه فيه ، وربما كانت علة اختياره جاهلية امرىء القيس فحسب ، وربما كانت أمراً لفظياً ، أو ذوقياً محضاً لا ندري له كنهاً اليوم ، وربما كانت كلمة « وطف » ، ومهما كانت الأسباب فإننا نجهلها ، كما نجهل علة « اتفاق » الشعراء في بلاط عبد الملك على استجادة بيت زهير في المدح :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله